جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الزّمن في الرّواية الجزائرية

١٩٧٠ - ١٩٨٦

بحث مقدّم من الطالب : بشير بويجرة محمد
لنيل درجة الدكتوراه في الأدب

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور: إبراهيم عبد الرحمن محمد
و
الأستاذ الدكتور: مصطفي عبد الشافي الشّوري

السنة الجامعية : ١٩٩٠/١٩٩١

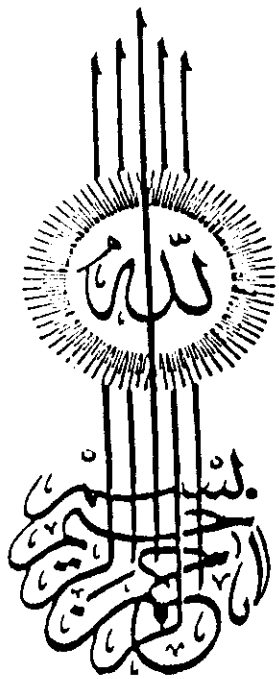

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

صدق الله العظيم

سورة الرعد ..... الآية ١١

شكر وتقدير . . .

هذا البحث مدين فى أفضاله ومزاياه إلى :

- **السيد الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد**، أستاذى الجليل الذى منحنى النّصح والإرشاد، وأكرمنى من وقته الثمين، وشملنى والبحث بالرّعاية والاهتمام منذ اللحظات الأولى التى عرضت فيها عليه موضوع البحث وخطّته حتى إكتمل فى صورته الحالية، وحتّى أصبحت كلّ مبزةفيه يعود الفضل فيها إلى علمه الغزير وتوجيهاته السّديدة.

- **الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الشّافى الشورى** الذى شارك فى الإشراف على هذا البحث، فذلّل لى كلّ صعب وهوّن علىّ كل عسير وقوّ منى دون ملل، مما زرع فى نفسى المثابرة على التّنقيب فى خفايا النّص وعلّمنى حبّ البحث.

- **الأستاذ الدكتور عاطف جودة نصر** الذى تحمّل عناء قراة البحث وتصحيحه من كل الشّوائب، ثمّ وافق على المشاركة فى مناقشة البحث وتقويمه.

- **الأستاذ الدكتور سيد حنفى حسنين** الذى تكبّد عبء قراءة هذا البحث وتفّضل بالموافقة على المشاركة فى مناقشته وتقويم ما إعوّج منه.

فإلى هذه الكوكبة من العلماء الأجلاء الأفاضل جميعاً أقدّم شكرى وتقديرى واعترافى لهم بالجميل ما حييت. وأعاهدهم على أنّنى سأفيد من ملاحظتهم وأنهل من علمهم ما سوف يعيننى على الاستمرار فى البحث، وينير لى درب المستقبل.

م. ب. بويجرة

إهـــداء . . .

إلى زوجتى الفاضلة : **فطيمة** .

... رفيقة العمر التى تكبّدت معى مشاق الغربه وهيأت لي ظروف البحث وحثّتنى عليه ...

... رفيقه الطريق على درب المعرفة ...

... وملهمة الكلمة فى طريق النّور ...

إلى زهور أسرتنا ...

... الأبناء الأعزّاء : **زينب** . **أحمد** . **إسماعيل**

وإلى أبويّ الكريمين : **أحمد** . **شريفة** .

... اللذين سهرا على تربيتى وتكبّدا الكثير في تنشئتى وتعليمى ...

أهدى هذا الجهد إعترافاً بالجميل... مع وافر الحبّ والإخلاص ...

م. ب. بويجرة

المقدّمـــــــة

لقد بات من نافلة القول التّأكيد على أهمّية الرواية والإشادة بنجاعة دورها في رصد التّدفّقات الوجدانية للانسان . كما أصبح يقترب من الإطناب الادّعاء بأن الرّواية قد بلغت شأوا كبيرا في الالتفاف حول الانسان قصد احتواء جل همومه واهتماماته، بفضل توفّرها على وسائل فنّية وجمالية تكفلان لها إستنطاق النّوازع الانسانية العاجزة ، في كثير من الأحيان ، عن سد منافذ الاغراء والحوار أمامها ،سواء كانت تلك النّوازع منكمشة داخل ذات واحدة أم كانت موزّعة بين ذوات مختلفة .

أما مايَحْسن التّنبيه إليه في مثل هذا الموضوع ، فهو الرؤية التي تَدّعي بأن الرّواية الناضجة حقّا هي تلك التي تنصهر جزئياتها وتتفاعل عناصر جمالياتها داخل الجزء الشّديد الحساسية في الانسان تحت تأثير فِعْلٍ مُقلق أو حدث مُزْعِجٍ مُنْتِجَيْن لألمٍ أو موقِظَيْن لعاطفة جيّاشة عبر أحداث مأساوية معاشة أو متخيَّلة في بوتقة زمنية ذات تكثيف حادٍّ مُرفَق بهالة من الغرابة المغرية ، وذات تفجير لدواعي الرّغبة في قراءة الرّواية وتفضيلها على باقي الأجناس الأدبية الأخرى .

وعليه ، يمكن القـــول : أنّه بقدر مايكون التّعامل مع الواقـع ، سواء كـان ذاتيا أم موضوعيـــا ، بعمق وحساسية بقـدر مايكون إنتاج جماليات ذلـــك الواقـــع ، في مجال الرواية ، أكثر إقناعا وأوفـــر تأصيـــلا . فَمَنْ مِـن القـرّاء مثـــلا ، لم يقرأ " الحـــرب والسلام " و " أوليفر تويست " و " أليـــس " و " ألف عام وعام من الحنين " و " ثلاثيـــة نجيب محفوظ " و " موســـم الهجـرة إلى الشمال " ولم يقـر بفاعليتها الجماليـــة ، أو لم تدفعه إلـــى التّفكـير في إعادة ترتيـــب بعض أموره الفكرية أو العاطفيـة .

إن التوغّـــل في متاهات الذّات والعـــوم على بساط تناغماتها ، قصـــد مداعبـة قداســة النّص الرّوائـي والكشف عن رتابة أمواجـــه أو تلاطمهـــا ، يتطلـــب التزوّد قدر المستطاع ، " بوَصْلَة " ومجداف . أمّا " البوصلـــــة " فهـي المعيـــار الشّديد الاتّصـال بالتّجربـة الملموسة والمتمثّلة في الأحداث والذّكريـــات المختزنـة والقابلة للاستعانة بها عند الإحساس بخطـــر التّوهان ، في حـين يظـــلّ المجداف مساعدا إيجابيا على التّحكّـــم فـي البساط حتى لا يجرفـــه التّيار .

وإذا كان العنصر الأول يستند في جدليتـــه الوجودية على المـــدى الكمّي المختزن فـــي الذّاكـرة والشّعور ، فإنّ الثّانـــي كان ، دائما ، ذا خصوصية زئبقيـــة تتفلّص النّص الرّوائـي وترْهب المتعاملين معه في كثـــير مـــن الأحيـــان ، لعدم ثبوته على حـال واحـدة من ناحية ، ثم لتعـدّد أشكالـه وألوانه ، حسب الحالة والوضع من ناحية أخرى ، وذلك العنصر هو الزّمن .

وانطلاقا من ظاهرة الزّئبقية لماهية الزّمن ، فقد عالجته أقلام شتّى وراودته عن نفسه أفكار متباينة منذ أقدم العصور ، ومازال يقضّ مضاجع المفكّرين والعلماء المعاصرين الذين ، إن كانوا قد أحرزوا عليه بعض النّصر ، فإنّ الفضل في ذلك كان نتيجة لربطه بالانسان وبتدفّقاته العاطفية ، بعد أن كان في غابر الأيّام موكولا إلى الأجرام والكواكب ، ومُعْتَبَرا من المتاهات الفلسفية والفكرية والمنطقية .

وفق المعطيات السابقة ، أضحى الالتزام بقضية الزّمن ومعالجتها داخل النّص الرّوائي العربي في الجزائر ذا أشجان ، بعضها ممتع وجذّاب ، والبعض الآخر مشحون بالقلق والخوف . ولئن إعتزازا بالرّغبة المهيمنة علينا في مغامرة الكشف عن الانهمارين ؛ الحدثي والزّمني ، المتميّز بهما النّص الرّوائي العربي الجزائري ، بهتت أشباح الخوف والقلق وتبدّدت .

لقد شهدت الجزائر ، في بداية السّبعينيات ، رجحان كفّة الإبداع الأدبي على ماسواه من وسائل التّعبير الجمالية ، حيث زخرت الحياة الثّقافية بكمّ هائل من القصص القصيرة ودواوين الشّعر وعشرات الرّوايات والمسرحيات في بلدٍ كان يُعتبر النّطق فيه بحرف عربي جريمة وتخلّفا . ثم رجحت هذه الكفّة ، مرة ثانية ، لصالح الرّواية على القصة القصيرة والمسرحية والشعر ، نتيجة لامتلاك الأولى مقوّمات البُعْد الوظيفي المأساوي والقدرة على تجسيده فنّيا ،

زيادة على تميزها بتوفر مجالات أوسع للبحث عن الذات ، وبقدرتها العجيبة على إحتواء هموم الانسان العربي في الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

ونزعم أنّ نفراً من تلك الحيثيات كانت مغرية على الاهتمام بها قراءة للمتعة ، أو قراءة للدراسة والبحث قدّمت في ميدانها أبحاث أكاديمية كثيرة المناهج مختلفة الأهداف ، عاد إليها الفضل في إجلاء الغموض عن كثير من المضامين والدلالات ، وفي الكشف عن مخبآت النصّ وخلفياته . ومن أهمّ هذه الأبحاث :ـ

١ـ الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام

د / محمد مصايف .

٢ـ اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، واسيني الأعرج ،

«رسالة ماجستير مطبوعة في ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر»

٣ـ صورة الجزائري في القصة العربية الجزائرية ، حرزلي عبد الحفيظ ،

« رسالة ماجستير»

٤ـ صورة الفرنسي في الرّواية الجزائرية ، حنون عبد الحميد ،

« رسالة ماجستير»

٥ـ الأرض في الرّواية الجزائرية ، كرّوم لحسن ، « رسالة ماجستير»

٦ـ الثّورة الزّراعية في الرواية الجزائرية ، ربيعة جلطي ، « رسالة ماجستير»

٧ـ الشّخصية في الرواية الجزائرية ، محمد بشير بويجرة ،

«رسالة ماجستير مطبوعة في ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر»

ولقد اعتنت جُلّ هذه الأبحاث بالمضمون في الدرجة الأولى مع إشارات خفيفة جدّا إلى الجوانب الفنّية، مما جعل كثيرا من مظاهر التّكرار والإطناب يتسرّبان إلى معظمها. لذا، حين وفّقني الله في تقديم موضوع " الشّخصية في الرّواية الجزائرية " لنيل درجة الماجستير، أشرت في خاتمة البحث إلى أنّ الضرورة تقتضي معالجة موضوعي الزّمان والمكان في الرّواية الجزائرية، لاعتقادي في أهمّيتهما، ولتكتمل الرؤية الشاملة ويسود النّفع الأعمّ، وحتى يُسَدّ باب النّقص الذي ظلّت تعاني منه دراساتنا الأدبية في جوانبها الفنّية.

أما وقد وطّدت النّية على الهدف، فلقد واجهتني أولى الصّعاب في اختيار المنهج الملائم لمثل هذا الموضوع المتميّز: بالجدّة في علاقته برواية ذات ندْرة في مراجعها المتخصّصة في الأدوات الفنّية التي تقف، في الغالب الأعم، سدّاً منيعا بين الباحث وبين عنصر الاختيار الذي يتطلّب توفّر عدة مناهج، حتّى يصبح مقبولا ومنطقيا. أما الصّعوبة الثّانية فنبعت من الموضوع ذاته، وخاصة في مصطلح " الزّمن " الذي قد يجانب الحظّ فيه من يعتمد على منهج واحد محدّد، لارتباطه تارة بالنّواميس الطّبيعية، ولانحيازه تارة أخرى إلى الظّواهر الاجتماعية وتفاعله معها، وانسيابه تارة ثالثة بين حنايا النّفس الانسانية، الشّيء الذي قد يُصَعّب من مهمّة الباحث عند التّقيّد بمنهج نمطيّ محدّدٍ مسبقا.

وعليه ، فقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تُؤَسَّس محاولتنا المنهجية على رؤية نابعة من عدّة انشطارات منهجية تَصبُّ في رافد واحد هو إبراز التّفاعل الحاصل ، قدر المستطاع ، بين الواقع الاجتماعي بصفته ثمّة النّواميس الموضوعية ، وبين البنية الزّمنية كرؤية مستخلَصة من تدحرجات ذلك الواقع وتناقضاته من خلال تجربة مبدع النّصّ الرّوائي ، ثم بينهما ـ الواقع الاجتماعي والبنية الزّمنية ـ وبين النّص الرّوائي المُنتَج ، والمصوِّر لذلك التّفاعل في المرحلة الأخيرة .

وانطلاقا من هذه الرّؤية ، لم أجد بدّا من الاعتماد على النّص في استخراج عناصر الحدّة واللّيونة ، أو التّناقض والتّجانس في العنصر الزّمني داخل فضاءاته ، مع الارتكاز على روافد منهجية إجتماعيةً كانت أم نفسية أم جمالية فلسفية عند الحاجة في محاولة ضمنية لاستجلاء المظاهر الزّمنية وتفاعلاتها ، إتّكاءً على ما أوعز به الخطاب السّياسي وما أوصى به المدّ الاجتماعي وزمنيتهما ، إلى الذّات الجزائرية من إيحاءات ودلالات ذات تنوّع واختلاف ، قد تساعد على رسم خريطة مَفصّلة لزمنية النّص الرّوائي المُفعَمة بالتّعرُّجات والمرتفعات التي لاتخلو من أحداث مأساوية ومواقف مفجعة .

ووفق ماتقدم بدا لنا أن معالجة الموضوع برؤيته المقترحة تقتضي تجزئته إلى ثلاثة أبواب تُحدِّد المحاور الكبرى التي يُمكنها أن ترسم خطّ

البدايـــة والنهاية ومحاور التّنقّل بين الخطين ، على أن يسبق هذه الأبواب مدخـــل يبيّن ماهية الزّمن وتطوّر مصطلحـــه عبر العصـــور ؛ إبتـــداء من تلبّســـه باللّبوس الدّيني والميتافيزيقـــي إلى تطعيمه بالآراء الفلسفيـــة ، ووصـــولا عند الرّؤى الجمالية والأدبيـــة في العصور الحديثة .

لقـــد أعطيـــت " المؤشّـرات العامة في بِنْيتي الزّمن والنّـــص" عنـــوانـــا للبـــاب الأول الذي ضـــمّ تحته ثلاثة فصول يتقدمهـــا الأول بعنوان " العـــلاقـــة الجدلية بين البنيتين الزّمنية والاجتماعية" رأيـــت فيه أن البِنْيتين الآنِفتَي الذّكـــر ـ باعتبارهما القاعدة الأولى التي تؤسّس للظّاهرة الإبداعية ـ قد تَجَلّيَتَا بوضوح من خلال تفاعلهما وتطاحنهمـــا الأبديـــن ، والمرسومة آثارهما على حيـــاة الانسان وعلى مصيره . ولتتزايد كلّ ذلك في قلق الذّات الجزائريـــة وأذكى توتّراتها جَيَّال الواقـــع المتجدّد ، حســـب ماتفـــرزه حيثيات النّص وفضاءاته . وأدرجـــت الفصل الثاني تحت عنـــوان " الرّوائـــي بين التّوفيق والانبهار " كامتداد وتطوير لذلك التّفاعل والتّطاحـــن وهما يتجسّدان في ذات المبدع الواقف بين سيل الثقافـــة الغربية العارم وبين طحالـــب الواقع الوطني في حالـــة من الاندهاش والذّعـــر ، حتى كادت تنعدم لديه ، فـــي كثير من الأوقـــات ، إجابـــة واضحـــة المعالم عن سؤال مؤداه ؛ ماذا يريد منّـــا هذا الواقـــع حتى يكسب ثقتنا ويقِـــرّ بدورنـــا ؟ . هـــل نُجاريـــه بشغف واستلاب فنرتمـــي بين أمواج زمنيته ، أم يَجْدُر بنـــا أن نـــتروّى ونتسلّح بالحـــذر ، ثـــم ننعطف على الواقـــع الشّعبي وعلى جدليته

وتعقيداته الماضيـــة والحاضـــرة ، ونعوج على الحضارة العربيـة الاسلامية للاستعانة بها في التّغلّب على الانجراف الزّمني. ومن هنا ، جاء عنـــوان الفصـــل الثالث " النّص الرّوائـــي سيرة وتجربة " بمثابة المرآة التي تنعكس عليهـــا إشكاليـــة الفصل الثانـــي.

ويبقـــى الباب الثانـــي المَخْـــبَر الذي ستُحلّل فيه القضايـــا والهمـــوم الثارة في الباب السّابـــق .لذا ، أدرجتـــه تحت إسم " الزّمـــن بين الأداة والمعالجة" . وضم تحته أربعة فصـــول، الأوّل بعنـــوان "الزّمن الخارجـــي بين الجبر والاختيار" ، حاولت أن أعالج فيه الجانب المأساوي للعمليـــة الإبداعيـــة وهي ترشف من ماء آسن وسط بركة الواقع الذي تجلّـــى الزّمـــن من خـــلاله كأنّه يتراوح بيـــن جبـــر الـــذّات المُبْدِعَـــة على بناء هـــرم زمـــنيّ ذا خصوصيـــة تتماشى الخطاب السياسي وزمنيتـــه ، وبين إعطائها الحرّية الكاملة في اختيـــار البناء الملائم لهـــا . مما جعـــل عملية خلق النّص الرّوائي لاتكتسب طابعـــا جماليـــا فقـــط، وانما تميـــل إلى ظاهـــرة الإفـــراغ والأيديولوجـــي ، كما يقترحها ويصوّرها الفصـــل الثّاني المعنون بـ" زمن الخلق ورغبـــة التّطهيـــر " .

أمـــا " الزّمن الداخلـــي بين خبرة المبدع وثقافته " عنوان الفصل الثالث ، فيُمثّل القالب الذي صُبّ فيه ذلك الإفـــراغ العاطفي والأيديولوجي المُحَمّلين بإرث ثقيـــل روافده ثقافة عربيـــة إسلامية ، وتجارب خاصة، ثم إطّـــلاع مُغرٍ على ماأنتجه وينتجه الغرب من أفكار ونظريات عَجّلت بظهـــور

إشكالية معقّدة ومتداخلة في عملية تداول النّص الرّوائي وقراءته . ولقد كان من مظاهر تلك الإشكالية تفرّع "زمن القراءة" عنوان الفصل الرابع، إلى فرعين دقيقين ؛ قراءة مرتبطة بزمنية الخطاب السياسي قبل ١٩٧٩، وقراءة مندمجة ضمن التّوجّه السّياسي الجديد مع بداية ١٩٨٠.

ثم يدلّل الباب الثالث تحت عنوان "جماليات الزّمن وإشكاليات الإبداع" على ماذهبنا إليه في البابين الأولين، حتى تتجلّى قمة المأساة الزّمنيه وانشطاراتها في بنية الشّخصية الرّوائية، التي حاول الفصل الأول أن يرسم خطوطها وأن يجوب أغوارها تحت عنوان "الشّخصية والإحساس بالزّمن" مستأنسا قدر الإمكان بنماذج روائية إتّسمت ملامحها الجمالية ببناء زمنيّ مُحكم. أما عنصر السّرد الروائي وعلاقته بالوعي الوجودي داخل الصّيرورة الزمنية المُشبّعة بسيل هادر من الخبرات والتّجارب، فقد عالجه الفصل الثّاني بعنوان "السّرد ووعي الذّات"، ليبقى الهدف، بعد ذلك، منصبّا على "الحدث" بصفته القناة الوجودية الإجبارية الرّابطة بين مصير الانسان ؛ مبدعا أو قارئا أم موضوعا لذلك الحدث، وبين سيولة الزّمن موضوعيا وفنيا، ثم بين النّص المُبدَع، ليلتئم الجمع حول بؤرة التّوتّر الوجودي المُختَزَن في الذّاكرة الشّعبية، وقد فضّلت أن يتكفّل الفصل الثالث المُعَنْوَن بـ "تراجيديا الحدث وهموم الواقع" بإبراز بعض مظاهر ذلك. ثم تحدّثت في الفصل الأخير من هذا الباب والبحث معا عن "المعجم اللّغوي